# أثر تنوع الصوامت في اختلاف القراءات القرآنية

إعداد

مبارك محمد السيد السماك

**توطئة:**

رَوَى لنا الأئمةُ الثّقاتُ القرآنَ الكريمَ بقراءاتٍ متنوعةٍ ومتعدّدةٍ، ورَوَوْها لنا بالتواتر، بحيث لا يكون هناك ثمة شكّ في صحتها، يتعلّمها المتعلّم عن طريق المشافهة والتّلقّي وجهًا لوجهٍ من الشيخ المُتقِن المُسنَد؛ ليتقن المتعلّم أداء القرآن الكريم بدرجةٍ عاليةٍ، هذا من ناحية الأداء الصّوتيّ، كذلك فإن هذا التنوّع الأدائي يلقِي بظلاله على المعاني القرآنيّة والدّلالات اللّغويّة، مما يُثرِي الفائدة من القرآن الكريم؛ حتى إنك لَتَخالُ أن هذا الأداء المتنوع للآية الواحدة هو بمثابة آية أخرى، فكأن كل رواية أو قراءةٍ آية مستقلة عن أختها، وذلك من جليل حكمة وعظمة الله- تبارك وتعالى.

هذا التنوّع- في هذا البحث- أخذ مسارَيْنِ، الأول: أثرتبادل تلك الصوامت فيما بينها في الكلمة الواحدة، مثل: {يَقُصُّ الحق} بالصاد، و{يَقْضِ بالحق} بالضاد بدل الصاد؛ فيتغير المعنى وتتنوّع الدلالة بسبب التنوع في صامِتَيْ [ص، ض].

مع التأكيد التام أن هذا التبادل بين صوامت الكلمة الواحدة هو اختلاف تنوّع، وليس اختلاف تضاد.

المسار الثاني: أثر إشمام بعض الصوامت في الكلمة القرآنية في إحدى القراءات دون بعض، ويُعرَف الإشمام من خلال التلقي على المشايخ، مثل إشمام صوت السين من كلمة {سيئت وجوه الذين كفروا}؛ فعند ضم الشفتين أثنا نطق صوت السين المكسور في {سيئت} فإن معنًى جديدًا يلُوح لنا في أُفق الدلالة القرآنية، وهو تصوير حالة الكافر أثناء سَوْقه إلى جهنم، بوجه كالح، هذا الوجه الكالح تبدو عليه أمارات الاستياء، وهذا ما ترسمه نطق السين مُشَمّةً.

introduction

The trustworthy imams narrated to us the Holy Qur'an with a variety of readings and multiple, and narrated them to us frequently, so that there is no doubt about their validity, the learner learns them through orality and face-to-face reception from the proficient Sheikh Al-Musnad, so that the learner masters the performance of the Holy Qur'an to a high degree, this in terms of vocal performance, as well as this performance diversity casts a shadow on the Qur'anic meanings and linguistic connotations, which enriches the benefit of the Holy Qur'an; It is as if every narration or reading of a verse is independent of its sister, and that is from the glory of the wisdom and greatness of God - blessed and exalted.This diversity - in this research - took two paths, the first: the impact of the exchange of those silences among themselves in one word, such as: {cut the right} Balsad, and {judge the right} Baldaad instead of R; With the full assurance that this exchange between the fasts of one word is a difference of diversity, not a difference of contradiction.The second track: the effect of Ishmam some of the fasts in the Qur'anic word in one of the readings without some, and knows the smell through receiving on the sheikhs, such as Ishmam voice of the Sin from the word {bad faces of those who disbelieved

## المطلب الأوّل- أثــر تبادل الصّوامت في القراءات القرآنيّة

تتنوّع وتتبادل الصّوامت في القراءات القرآنية؛ فنجد مثلا كلمة (تعقلون) تقرأ بالتاء تارة، وأخرى بالياء: (يعقلون)، ولكل قراءة دلالتها الخاصة، والمعنى المنوط بها، وهذا التنوّع في الصوامت يثري المعنى الدلالي، ويثمر آفاقًا واسعة في فهم النّص القرآني، ناهيك عن كون كل قراءة أو حرف يمثل قرآنًا بمفرده، وهذه من عطايا القرآن في أسلوبه العربي القشيب.

الأمثلة.

المثال الأول: قال تعالى: ﴿وَمَا ٱلحَيَوٰةُ ٱلدُّنيَا إِلَّا لَعِب وَلَهو وَلَلدَّارُ ٱلأخِرَةُ خَير لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعقِلُونَ﴾ [الأنعام: ٣٢]

{أفلا تعقلون}: قرأها بالتاء: المدنيان ويعقوب وابن عامر وحفص، وقرأها بالياء {أفلا يعقلون} باقي العشرة.([1])

تبادل صوتي التاء والياء هنا يوحي بمعان متعددة، فقراءة التاء: توحي بمخاطبة المسلمين- الصحابة؛ فيكون غرض الاستفهام تحذير المسلمين من الاغترار بالحياة الدنيا؛ ومن الوقوع فيها، وانشغالهم بها عن ذكر الله- تعالى-؛ لذا يبرز هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ٱعلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلحَيَوٰةُ ٱلدُّنيَا لَعِب وَلَهو وَزِينَة وَتَفَاخُرُ بَينَكُم وَتَكَاثُر فِي ٱلأَموٰلِ وَٱلأَولَٰدِ كَمَثَلِ غَيثٍ أَعجَبَ ٱلكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصفَرّا ثُمَّ يَكُونُ

[1] ينظر: النشر في القراءات العشر، محمد بن محمد الدمشقي، الشهير بابن الجزري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٦م، ١٤٢٧هـ.ج٢، ص ١٩٣

حُطَٰمًا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ٢٠﴾ [الحديد: ٢٠]

فالخشية هنا من اغترار المسلمين بالحياة الدنيا، ونسيانهم الآخرة التي هي بيت القصيد.

أما قراءة الياء: فتوحي بالغيبة، ويكون الاستفهام حينئذ للمشركين؛ لتوبيخهم وتقريعهم لما ادّعوه كذبًا وافتراءً فيما سبق هذه الآية في قوله تعالى: {وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين} [الأنعام: ٢٩]، فالمشركون ينكرون الآخرة وما فيها من بعث، ... إلا أن هذا الاستفهام ربما يوقظهم من سباتهم، ويبصرهم بحقائق الأمور.([1])

المثال الثاني: قال تعالى: ﴿قُلۡ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبۡتُم بِهِۦۚ مَا عِندِي مَا تَسۡتَعۡجِلُونَ بِهِۦٓۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧]

كلمة يقص: قرئت بالصاد مرة، وأخرى بالضاد.([2])
قراءة الصاد {يقص} هنا بمعنى القصص، وذلك بأن الله- تعالى- يقص القصص الحق من الأمم الغابرة، ومنها قوله تعالى: يوسف ٣ ، فالله- تعالى- يقص الحق.
أما قراءة الضاد {يقض}: هي من الفصل بين الناس يوم القيامة، فقضاؤه- سبحانه- الحق والعدل؛ لذا أثنى على نفسه- سبحانه- فقال: { وهو خير الفاصلين}.
بذلك أدت القراءتان معنيين متكاملين، فكانت كل قراءة بمثابة قرآن على حدة.

---

[1] ينظر: التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م، ج٧، ص١٩٥

[2] النشر في القراءات العشر ج٢، ص١٩٤

المثال الثالث: قال تعالى: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم غَيرِ ٱلمَغضُوبِ عَلَيهِم وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧]

كلمة {الصراط} –معرفة ومنكرة– قرئت بثلاث قراءات: بالصاد مرة، وثانية بالسين، وثالثة بالإشمام: قرأها رويس حيث وقع وكيف أتى بالسين، واختلف عن قنبل مرة بالسين وأخرى بالصاد، وقرأها خلف عن حمزة بالإشمام، واختلف عن خلاد، أما الباقون بالصاد الخالصة.([1])

وحجة من قرأها بالسين: أنها الأصل، وإنما أُبدِل منها صادًا لأجل الطاء التي بعدها. وحجة من قرأها بالصاد: أنه اتبع رسم المصحف، ... وعليه جمهور العرب وأكثر القراء. وحجة من قرأها بالإشمام: أنه لما رأى الصاد فيها مخالفة للطاء في الجهر؛ لأن الصاد حرف مهموس والطاء حرف مجهور، أَشَمَّ الصاد لفظ الزاي؛ للجهر الذي فيها؛ فصار قبل الطاء حرف يشابهها في الإطباق وفي الجهر."([2])

الأثر الدلالي لتنوع صوت الصاد في {الصراط}:

لكل صوت من الأصوات الثلاثة دلالته الخاصة به، ومعناه الذي يومئ إليه، ولوحته التي يوحي بها لنفس المتلقي. فنجد صوت السين {السراط} يستدعي معناه من صفاته حيث الهمس والرخاوة والاستفال والانفتاح، وهي صفات ضعيفة، سوى الصفير، فهي صفة قوة فيها، وتُحِس النفس إبّان ذلك بدقة هذا السراط ورقته، وأنه يكاد لا يُرى؛ مما يجعل السير عليه مخيفًا مرعبًا؛ لأن المار عليه لا يأمن السقوط

[1] ينظر: النشر في القراءات العشر ج١، ص٢١٣

[2] الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: الدكتور محي الدين رمضان، ١٣٩٤هـ، ١٩٧٤م.، ج١، ص٣٤

منه في لحظة ما، وهذا الإحساس يروع النفس ويخيفها؛ فلا نجاة من خشية السقوط إلا بالعمل الصالح. ويتناسب هذا مع حال الكفار والمنافقين.
أما قراءة الصاد {الصراط}: فيشعر النفس بشيء من الاطمئنان؛ لأن فيه قوة، وأنه لابد من سبب ما يؤدي إلى السقوط، وإذا عُدِم السبب فثَمَّ الاطمئنان. وهذا يناسب حال المسلمين العصاة.

أما إشمام الصاد زايًا في {الصراط}: يوحي بأن الصراط أقوى مما نتوقع؛ لوجود صفات الزاي من شدة وجهر وصفير؛ فكأن المارّ عليه آمنًا مطمئنًا سالمًا، ويناسب ذلك مقام المؤمنين الأبرار.

ومما يثير الانتباه أن مخرج الأصوات الثلاثة [ص، س، ز] من طرف اللسان الأمامي، مع أطراف الثنايا السفلى، وهي قبيل نهاية المخارج- قبل الشفتين، وهذا يلقي بظلاله على معاني الصراط؛ فهو في نهاية الحساب، وليس بينه وبين الجنة إلا قنطرة الحقوق.

هذا على أن المقصود بالصراط صراط الآخرة، أما الصراط الذي معناه طريق الأنبياء وسبيلهم إلى الله تعالى، فمجيؤه بالسين يوحي بدقته ومدى تلمسه بالعلم والقدوة ممن يريده. لكن الصاد فيه تومئ بأنه بحاجة إلى عزيمة وقوة، وأن السائر فيه لابد له من قوة. أما الزاي فيبرز أن السالك لهذا الصراط لا مناص له من التضحية والجهاد في سبيله بالمال والنفس، وبذلهما رخيصتان، وبكل رضًى من أجل هذا الصراط.

المثال الرابع: قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتهُم ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلحَقنَا بِهِم ذُرِّيَّتَهُم وَمَا أَلَتنَٰهُم مِّن عَمَلِهِم مِّن شَيءٍ كُلُّ ٱمرِيِ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: ٢١]

{واتبعتهم}: قرأها الجمهور: بوصل الهمزة وتشديد التاء وفتح العين وتاء ساكنة بعدها، وقرأها أبو عمرو البصري: {وأتبعناهم}، بقطع الهمزة وفتحها وإسكان التاء والعين ونون وألف بعدها.([1])

"يكون الإنعام على آبائهم بإلحاق ذرياتهم بهم وإن لم يعملوا مثل عملهم".([2])

قراءة {واتّبعتهم}: فاعلها {ذريتهم}، ومعناه أن الذرية هي التي اتبعت الآباء بالإيمان، وتنكير الإيمان هنا يدل على التعظيم؛ لذا ألحقهم الله- تعالى- بآبائهم.

وعلى قراءة {وأتبعناهم} لأبي عمرو، فاعلها نون التعظيم {نا}، وهو الله – تبارك وتعالى، والمعنى يكون: إن الله- تعالى- هو الذي أتبع الأبناء آباءهم بفضله تبارك وتعالى، ويكون تنكير الإيمان هنا يفيد قلته، وكأن المعنى: رغم ضعف إيمانه الأبناء تفضّل الله- تعالى، وألحقهم بآبائهم نعمة منه سبحانه.

المثال الخامس: قال تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ﴾ [الزخرف: ١٩]

اختلف القراء في قراءة {عند الرحمن}: فقرأ المدنيان وابن كثير وابن عامر ويعقوب {عند} بالنون على أنه ظرف، وقرأ الباقون بالباء وألف بعدها ورفع الدال، جمع عبد.([3])

---

[1] النشر في القراءات العشر، ج٢، ص ٢٨٢

[2] التحرير والتنوير، ج٢٧، ص ٤٩

[3] ينظر: النشر في القراءات العشر، ج٢، ص٢٧٥، ٢٧٦

قراءة الظرفية {عند}: تدل على أن "العندية عندية تشريف، أي الذين هم معدودون في حضرة القدس المقدسة، بتقديس الله، فهم يتلقون الأمر من الله بدون وساطة، وهم دائبون على عبادته، فكأنهم في حضرة الله".([1])

أما قراءة {عباد الرحمن}: فهي إضافة إلى اسم الرحمن، وهي "إضافة تشريف للملائكة، والعبودية هنا عبودية خاصة، وهي عبودية القرب".([2]) فالقراءتان نوعتا دلالة المعنى القرآني وأثرتاه بلفت الانتباه إلى قيمة تعدد الدلالات من خلال تبادل الصوامت.

المثال السادس: قال تعالى: ﴿فَقَالَ ٱلمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَومِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرا مِّثلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُم أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُم عَلَينَا مِن فَضلِ بَل نَظُنُّكُم كَٰذِبِينَ﴾ [هود: ٢٧]

كلمة {بادي}: قرأها أبو عمرو بهمزة بعد الدال، وقرأ الباقون بالياء بغير همز.([3])

اتّهم الملأ الذين كفروا من قوم نوح- عليه السلام- المؤمنين الذين اتبعوا نبي الله- تعالى- نوحًا- عليه السلام- بأنهم آمنوا معه دون تَرَوٍّ ومشورة، وأنه قرار اتُّخِذ على عَجَل.

قراءة الياء{بادي}: فيما يبدو لهم دون بحث عن خفاياه ودقائقه، وهي مشتقة من بدا الأمر: إذا ظهر. أما قراءة الهمز {بادئ}: فيما يقع أول الأمر، أي دون إعادة النظر

---

[1] التحرير والتنوير، ج٢٥، ص١٨٣

[2] التحرير والتنوير، ج٢٥، ص١٨٣

[3] النشر في القراءات العشر، ج١، ص ٣١٦

لمعرفة الحق من التمويه، يعنون أن هؤلاء قد غرتهم دعوتك؛ فتسرعوا إلى متابعتك، ولو أعادوا النظر والتأمل لعلموا أنك لا تستحق أن تتبع.([1])

المثال السابع: قال تعالى:﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِن بَعدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُواْ إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعدِهَا لَغَفُور رَّحِيم﴾ [النحل: ١١٠]

اختلف القرأة في {فتنوا}: قرأ ابن عامر: بفتح الفاءوالتاء{فَتَنُوا}، وقرأ الباقون: بضم الفاء وكسر التاء {فُتِنُوا}.([2])

تذكر لنا هذه الآية مغفرة الله تعالى ورحمته لمن هذه صفاتهم:" هاجروا من ديارهم ومساكنهم وعشائرهم من المشركين، وانتقلوا عنهم إلى ديار أهل الإسلام ومساكنهم وأهل ولايتهم، من بعد ما فتنهم المشركون الذين كانوا بين أظهرهم- قبل هجرتهم- عن دينهم، ثم جاهدوا المشركين بعد ذلك بأيديهم بالسيف، وبألسنتهم بالبراءة منهم، ومما يعبدون من دون الله، وصبروا على جهادهم، ... إن ربك من بعدها لغفور رحيم، ..."([3])

قراءة {فُتِنوا}: " أي عُذِّبوا في الله، وحُمِلوا على الارتداد عن دينهم، وقلوبهم مطمئنة بالإيمان فأعلمهم الله بالمغفرة لِما حُمِلوا عليه وأُكرِهوا من الارتداد.

أما قراءة {فَتَنُوا}: على معنى من بعد ما فَتَــنوا غيرهم، أي عَذَّبوا غيرهم على الدين؛ ليرتدوا عن الإسلام، ثم آمنوا وهاجروا، فالله غفور لفعلهم. ويجوز أن يكون

---

[1] ينظر: التحرير والتنوير: ج١٢، ص ٤٨

[2] النشر في القراءات العشر، ج٢، ص ٢٢٩

[3] تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق محمود محمد شاكر، أحمد محمد شاكر، مكتبة ابن تيمية، الطبعة الثانية.، ج١٤، ص٣٧٧

المعنى: فتنوا أنفسهم بإظهار ما أظهروا من الكفر للتّقية." ([1]) بذلك تنوع نطق أصوات كلمة {فتنوا} تثري المعنى، وتفتح آفاق الفكر؛ ليستنبط العقل المعاني الكثيرة، وهذا من أسرار القرآن العظيم.

**المطلب الثّالث- أثر إشمام الصّوامت في القراءات القرآنيّة**

هناك سبع كلمات قُرِئَتْ بالإشمام وصلًا ووقفًا، أينما جاءت في القرآن الكريم، عند بعض القرأة، والحرف الأول منها هو المُشَمّ، والكلمات السبع هي: [قيل، غيض، جيء، حيل، سيق، سيء، سيئت].

الإشمام: "عبارة عن الإشارة إلى الحركة- الضّمّة- من غير تصويت، أو أن تجعل شفتيك على صورتهما إذا لفظتَ بالضّمّة"([2]) أو "ضمك شفتيك بعد سكون الحرف أصلًا، ولا يدرك ذلك الأعمى؛ لأنه لرؤية العين لا غير."([3])

الأمثلة:

١-المثال الأول: قال تعالى:{فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا وقيل هذا الذي كنتم به تدعون} [الملك: ٢٧]

كلمة {سيئت} قرأها بالإشمام: المدنيان والكسائي وابن عامر ورُوَيْس، والباقون بإخلاص الكسرة."([4])

---

[1] الكشف عن وجوه القراءات، ج٢، ص٤١

[2] النشر في القراءات العشر، ج٢، ٩٥

[3] التيسير في القراءات السبع، ص٥٩

[4] ينظر: النشر في القراءات العشر، ج٢، ١٥٦

الآية تصف حال الكافرين لما رأوا العذاب يوم القيامة، وتصف مشاعرهم التي بدت على وجوههم، ومن خلال تعريف الإشمام؛ فإن النفس تستشعر أثناء نطق الكلمة عدم الرضا، لاسيما مع المدّ المتّصل، الذي يؤكد المعنى ويوضحه، فكأن هيئة نطق الكلمة يوحي بمعناها، أو يرسمه في لوحة ناطقة، معبّرة، مُوحِية.

فالإشمام يوحي بأن الناطق لهذه الكلمة من حيث الهيئة يتمثل شكل الكافرين، وشكل وجوههم من حيث عبوسهم وكلاحة أشكالهم؛ فتحس النفس بأن إشمام الصوت وهيئة نطق الكلمة يعبّران عن معناها، وكأن القرآن العظيم ينقل لنا المشهد؛ لنراه في حياتنا الدنيا من خلال الإشمام، فهو منظر مرعب مخيف كئيب.

هذا من أسرار تأثير القرآن الكريم في القلوب، وأخذه بالألباب، ودقة اختيار الأصوات المُوحية المعبّرة، بل والناقلة للمعاني القرآنية.

٢- المثال الثاني: قال تعالى: {ولما جاءت رسلنا لوطًا سيء وضاق بهم ذرعًا وقال هذا يوم عصيب} [هود: ٧٧]

الآية تصف لنا حال نبي الله لوط- عليه السلام- عندما استضاف ضيوفًا- وهم الملائكة الذين لا يعرفهم- وهو يعلم أن قومه سيراودونه عنهم، ولا طاقة له بمجابهتهم؛ " فندم على عرضه المنزل لهم. فقال: أي شيء صنعتُ؟ آتي بهم قومي وأنا أعرفهم. ثم قال لهم: إنكم لتأتون شرارًا من خلق الله".([1])

قرأ {سيء} بالإشمام: المدنيان والكسائي وابن عامر ورُوَيْس، والباقون بإخلاص الكسر.([2])

---

[1] الانحرافات الكبرى، القرى الظالمة في القرآن الكريم، سعيد أيوب، دار الهادي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ،١٩٩٢م، ص ١٤٣

[2] ينظر: النشر في القراءات العشر/ ج٢، ص ١٥٦

جاء الإشمام في كلمة {سيء بهم}؛ ليعضد معاني {ضاق بهم ذرعًا}، و{هذا يوم عصيب}. وعند النطق بإشمام سين {سيء} يوحي للنفس مدى الغمّ والهمّ الذي أصاب نبي الله لوطًا- عليه السلام- حتى ضاق ذرعًا، ووصف هذا اليوم بالعصيب، ناهيك عن معنى سيء نفسها وما يحمله معناها من سوء ما حلّ بنبي الله لوطٍ- عليه السلام. هذا الإشمام في نطق هذه الكلمة يرسم لنا لوحة معبّرة عن حال نبي الله لوط- عليه السلام- ظاهرًا، وما حلّ به من الأحاسيس والمشاعر، لاسيما وهو ليس من أهل تلك البلدة، وليس له فيها عشيرة تحميه وتدافع عنه.

ومثلها ما جاء في قوله تعالى: {ولما أن جاءت رسلنا لوطًا سيء بهم وضاق بهم ذرعًا وقالوا لا تخف ولا تحزن إنا منجوك وأهلك إلا امرأتك كانت من الغابرين} [العنكبوت: ٣٣].

٣- المثال الثالث: قال تعالى: { وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل إنهم كانوا في شك مريب} [سبأ: ٥٤]

قرأ {حيل} بإشمام الحاء: الكسائي وابن عامر ورُوَيْس، والباقون بإخلاص الكسر.([1])

تخبرنا الآية الكريمة أنه حيل بين الكفار وبين ما يشتهون من جنة، أو حيل بينهم وبين الانتفاع بالإيمان حينئذ، أو حيل بينهم وبين نعيم الدنيا والرجوع إليها.([2])

---

[1] ينظر: النشر في القراءات العشر/ ج٢، ص ١٥٦

[2] ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم محمد بن أحمد بن جُزيّ الكلبيّ، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م، ج٢، ص ٢١٠- التحرير والتنوير، ج٢٢، ص ٢٤٥

يرسم نطق الإشمام في حاء {حيل} كآبة الكافرين، وشدة ندامتهم، وامتعاضهم من حرمانهم الجنة، وكأن عملية الإحالة ومنعهم من دخول الجنة التي يشتهونها عملية كئيبة، ومخيبة للآمال، وكأن القرآن ينقل لنا هذا الحدث الغيبي الأخروي في الدنيا من خلال إشمام حاء {حيل}.

٤- المثال الرابع: قال تعالى: { وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا} [الزمر: ٧١] وقوله تعالى: {وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا} [الزمر: ٧٣].

قرأ {وسيق} بإشمام السين

ذكرت الآية أن الكفار سيقوا إلى جهنم جماعاتٍ، بعد الحساب، وكذلك المتقون سيقوا إلى الجنة جماعاتٍ أيضًا.

الإشمام في {وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرًا} يوحي ببشاعة الموقف، حينما يساقون إلى جهنم، كما ينقل لنا الإشمام أحوالهم النفسية التي يسيطر عليها الخوف والرعب والهلع، لاسيّما أن أبواب جهنم تُفتَح في وجوههم، فالموقف مرعب، وهم خائفون، فكأن الإشمام رسم لنا لوحة صوّر فيها الموقف أصدق تصوير، "فسوق أهل النار طردهم إليها بالخزي والهوان، كما يُفعَل بالأسارى والخارجين على السلطان إذا سيقوا إلى حبس أو قتل"([1]) وكلمة {سيق} تشعر بالذل والهوان، "والسَّوْق مشعر بالإزعاج والإهانة"([2])، فالإشمام ينقل لنا المشهد رأْيَ العين. وهذا من أسرار تأثير القرآن على القلوب والألباب.

---

[1] الجامع لأحكام القرآن، والمبيّن لما تضمنه من السنة وآي القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبيّ، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م. ج١٨، ص ٣١٧

[2] التحرير والتنوير، ج٢٤، ص ٦٩

أما قوله تعالى: {وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرًا} فيبدو أن لكلمة {سيق} مع الإشمام لها دلالة أخرى، فالسوق هنا يظهر فيه المشاكلة اللغوية للجملة السابقة {وسيق الذين كفروا} هذا من جهة، ومن جهة أخرى أن المتقين يركبون ركائب الآخرة الخاصة بهم ولا يمشون على أقدامهم، ومن هنا جاءت كلمة {وسيق الذين اتقوا}،

"أطلق على تقدمة المتقين إلى الجنة فعل السوق على طريقة المشاكلة لـــ {سيق} الأول، والمشاكلة من المحسنات، وهي عند التحقيق من قبيل الاستعارة التي لا علاقة لها إلا المشابهة الجُملية التي تحمل عليها مجانسة اللفظ."([1]) فجاءت كلمة {وسيق الذين اتقوا ربهم} مجانسة لـــ {وسيق الذين كفروا} مجانسة لفظية. ومن حيث الحقيقة أيضًا "وسوق أهل الجنان سوق مراكبهم إلى دار الكرامة والرضوان؛ لأنهم لا يُذهَب بهم إلا راكبين كما يُفعَل بمَن يُشَرّف ويكرم من الوافدين على بعض الملوك، فشتّان ما بين السَّوقَيْن."([2]) فالسَّوْق الأول للكافرين سوق ذلّ وإهانة، والسّوْق الثاني للمتقين سَوْق تكريم وتشريف، فشتّان ما بين السّوْقين.

٥- المثال الخامس: قال تعالى: {وقيل يا أرض ابعلي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر} [هود: ٤٤]

كلمة {وغيض} قرأها بإشمام الغين هشام والكسائي ورُوَيْس، والباقون بإخلاص الكسر. ([3])

---

[1] السابق، ج٢٤، ص ٧١

[2] الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج١٨، ص ٣١٨

[3] النشر في القراءات العشر، ج٢، ص١٥٦

يخبرنا الله تبارك وتعالى في هذه الآية أنه لما غضب على قوم نوح- عليه السلام- أهلكهم بالطوفان، وهو الفيضان، كما قال تعالى:{ ففتحنا أبواب السماء } أمر الأرض أن تبلع ماءها، وأمر السماء أن تمسك ماءها، فغاض الماء وقُضِي الأمر.

و {غيض الماء}: "غَاضَ المَاءُ يَغِيضُ غَيْضًا وَمَغِيضًا وَمَغَاضًا

وَانْغَاضَ: نَقَصَ، أَوْ غَارَ فَذَهَبَ"([1])؛ فذهب الماء، وأصبحت الأرض كما كانت قبل الطوفان.

الإشمام في {وغيض} يرسم لوحة فيها صورة الماء المغيض، وكأن نطق الناطق لهذه الكلمة مشمة، هي حاله لو رأى حقيقة الماء المغيض؛ فتدلّ على هول الموقف، والتعجب من سرعة ذهاب هذا الماء الكثير بسرعة فائقة، مما يدلّ على قدرة الله تعالى المطلقة.

[1] لسان العرب، لابن منظور، دار المعارف، مادة (غ ي ض)، ص٣٣٢٣

## خاتمة ونتائج

بعد هذه الأمثلة، يتضح الآتي:

١-إن اختلاف القراءات القرآنية اختلاف تنوّع لا اختلاف تضاد؛ فالمعاني تعضد بعضها، وتشد من أزْرِ أختها.

٢-تبادل الصوامت في الكلمة الواحدة يمثل قراءات متعدّدة للنّصّ القرآنيّ، فكل قراءة تمثل آية بمفردها.

٣-نلحظ دقة نَقل أئمة القراءات القرآنيّة عند الاختلافات الصوتية الدقيقة في النطق، وأنهم كانوا يتمتّعون بالأمانة والدّقّة العلمية العالية.

٤-دراسة الاختلافات الصوتية في القراءات القرآنية تخدم الدرس اللّغويّ المَحض.

٥-إشمام بعض الكلمات دون بعض يؤثر في المعنى ويثري الدلالة القرآنيّة.

التوصيات:

أرجو من الله تعالى أن يوفق أحد العلماء لعمل تفسيرٍ صوتيّ للقرآن الكريم، يستنبط من خلاله تأثير الاختلافات الصوتية في القراءات القرآنيّة ومدى تأثيرها في دلالة المعاني القرآنيّة.

## المصادر والمراجع

١- التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.

٢- التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم محمد بن أحمد بن جُزيّ الكلبيّ، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

٣- تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق محمود محمد شاكر، أحمد محمد شاكر، مكتبة ابن تيمية، الطبعة الثانية.

٤- الجامع لأحكام القرآن، والمبيّن لما تضمنه من السنة وآي القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبيّ، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.

٥- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: الدكتور محي الدين رمضان، ١٣٩٤هـ، ١٩٧٤م.

٦- لسان العرب، لابن منظور، دار المعارف.

٧- الانحرافات الكبرى، القرى الظالمة في القرآن الكريم، سعيد أيوب، دار الهادي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ،١٩٩٢م.

٨- النشر في القراءات العشر، محمد بن محمد الدمشقي، الشهير بابن الجزري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٦م، ١٤٢٧هـ.